الواقع التاريخي لصراع دول الشمال والجنوب 1945-1995
هيمنة ...تبعية ... تهميش
وتباين ثقافي واجتماعي

المدرس الدكتورة اسراء شريف جيجان*

تاريخ قبول النشر ٢٠٠٥/٢/٧

المقدمة :

ينقسم العالم المعاصر الى دول قوية واخرى ضعيفة , والى شعوب غنية واخرى فقيرة , والى مجتمعات متقدمة صناعيا وتقنيا واخرى تعاني من التخلفين الاقتصادي والعلمي , وتؤكد كافة الوقائع والحقائق ان العالم المعاصر لاينقسم الى شرق وغرب فحسب , وانما ايضا الى شمال وجنوب . بل انه في الوقت الذي يزداد فيه تقارب الشرق والغرب وتتلاشى فيه تدريجيا خلافاتهما يعد زوال الشيوعية عام ١٩٩١ في هذا الوقت بالذات تزداد الفجوة بين دول ودول الجنوب وتزداد فية حدة الصراع بينهما . ان العالم المعاصر الذي كان ينقسم ايديولوجيا الى شرق اشتراكي وغرب رأسمالي هو عالم منقسم اقتصاديا الى شمال متقدم مهيمن وجنوب متخلف وتابع (١) . ورغم ان صراع الشرق والغرب هو الصراع المركزي والاكثر خطورة الاانه تلاشى نحو الزوال الكلي , بيد انه حتما لم يكن الصراع الوحيد في عالمنا المعاصر الذي شهد ايضا صراعا اقتصاديا وسياسيا بين الشمال والجنوب , وهو صراع تزداد خطورته يوما بعد يوم على الامن والاستقرار الدوليين . كما ان تقسيم العالم الى شرق وغرب ليس تقسيما جغرافيا فأن تقسيمه الى شمال وجنوب هو ايضا بعيد كل البعد عن التقسيم الجغرافي الساذج الذي يتبادر الى الذهن في الوهلة الاولى . ان تقسيم العالم الى شمال وجنوب هو الاساس تقسيم اقتصادي , يرتبط ارتباطا وثيقا بالنظام الاقتصادي العالمي الذي يتكون من دول المركز " الرأسمالية والصناعية " والتي تحقق تقدمها ورفاهيتها على حساب استغلال وافقار وتخلف دول الاطراف في هذا النظام . لذلك فان صراع الشمال والجنوب يختلف عن صراع الشرق والغرب سابقا في كونه صراعا بين اطراف غير متساويه في القدرات والامكانات . ففي حين ان صراع الشرق والغرب هو صراع القوى النووية العظمى فيما بينها فان صراع الشمال والجنوب يجسد نضال الشعوب المضطهده والمستغلة والتابعة "والمستعمرة سابقا " ضد الدول الاستعمارية والامبريالية التي كانت وما زالت تنهب وتستغل ثروات وخيرات الشعوب وتحاول فرض ارادتها وهيمنتها على العالم من خلال الابقاء على النظام الاقتصادي العالمي الراهن الذي يقول عنه نيجيل هاريس ((أنه العدو الاول والمباشر للشعوب الفقيرة والتابعة في الجنوب))(٢) .

ان احدى السمات البارزة لهذا العالم المعاصر هي انه يضم شعوبا غنية ومتخمة بالغنى وشعوبا اخرى فقيرة اشد الفقر وبائسة اشد البؤس . ويشكل اغنياء العالم ٢٥% فقط من سكانه لكنهم يتمتعون بـ ٨٠% من ثرواته . اما فقراء العالم فانهم يشكلون ٧٥% من اجمالي سكان الارض , ولايملكون سوى ٢٠% فقط من ثرواتها . لذلك فان ثمانية من اصل كل عشرة من سكان الارض لايشاركون مشاركة حقيقية , ولايتمتعون مطلقا بما حدث من تقدم مادي ومن رفاهية اجتماعية وحياتية في عالم اليوم (٣) . وتتضمن هذة الارقام وجود الف مليون نسمة من بينهم ثلاثمائة مليون طفل يعيشون فقط في حالة نقص تغذية ومجاعة مزمنة . وقد تحولت حياتهم الى بؤس يومي قاتل , وهم يعيشون فقط لانهم غير قادرين على الموت طوعا . ان ثمانمائة مليون فرد

* قسم التاريخ – كلية التربية للبنات – جامعة بغداد

من هؤلاء فقراء بكل معايير الفقر التي تشمل انعدام المأوئ , والرعاية الصحية , والخدمات الاولية الضرورية , والتعليم بالاضافة الى انعدام الملكية وانعدام الدخل . لذلك فان فقر فقراء الجنوب هو فقر مطلق . ولقد تزايد عدد هؤلاء الفقراء من حوالي مائتي مليون نسمة سنة ١٩٦٠ الى اربعمائة وخمسين مليون سنة ١٩٧٠ , ثم تضاعف الى ثمانمائة مليون سنة ١٩٨٠ ويتجاوز عددهم الف مليون نسمة سنة ١٩٩٠ (٤) . ولاشك ان العالم لم يكن غافلا كليا عن ازمة هؤلاء الفقراء الا ان ادراكه وفهمه لها ازداد عمقا مؤخرا , وذلك نتيجة اتساع وازدياد عمق الفجوة بين الدول الغنية في الشمال والدول الفقيرة في الجنوب , ووصولها الى مستويات حرجة تهدد استقرار العالم المعاصر .

ان الفجوة بين الدول المتقدمة في الشمال والدول المتخلفة في الجنوب وبين الشعوب الغنية والشعوب الفقيرة هي على راس قائمة الازمات الحرجة التي تواجه العالم المعاصر , والتي تشكل تحديا للعقل والخيال البشري كما تشكل تحديا لضميرة , واخلاقة علاوة على انها تهدد مستقبلة . هذة الفجوة الاقتصادية الاخذة في الاتساع هي محور الصراع القائم الان بين الشمال والجنوب , والذي يرتبط مباشرة بوضع مئات الملايين من البشر المهددين بالموت جوعاً والاف الملايين الاخرين الذين يعيشون واقع الفقر والجهل والمرض في المدن وقرى وارياف دول الجنوب . واذا لم يطرأ تحول عميق وسريع في النظام الاقتصادي العالمي حتى عام ١٩٩١ , واذا لم يتم اصلاح الخلل البنوي الذي يعاني منه هذا النظام فان من المؤكد ان يزداد غنى الاغنياء ويزداد معه فقر الفقراء في العالم .

((ففي عالمنا هذا اصبحت اقوى مظاهر الاستقطاب بين من يملكون ومن لايملكون , بين الشعوب التي عاشت على حساب غيرها وتلك التي راحت ضحية استغلال غيرها , هي وجود اقلية متخمة يصاب الكثير من افرادها بالعلل المترتبة على الافراط في الغذاء , واكثرية جائعة يتعرض اطفالها , فضلاً عن كبارها , لابشع امراض سوء التغذية ونقص النمو , وفي احيان كثيرة للمجاعة التي تفضي الى الموت(٥) . ويقول جان سان جور : ((ان التباين في الثروات بين النصف الشمالي والنصف الجنوبي من الارض يتناقض مع الوحدة الجوهرية لعالمنا المعاصر)) ويضيف ان ((الفجوة بين سكان الشمال وسكان الجنوب هي فضيحة العالم المعاصر , وهي ادانة صارخة للضمير والاخلاق كما انها تمثل خطراً جسيما وتهديدا فعليا للحضارة الانسانية)) (٦) . لذلك فان العالم المعاصر يقف حتى عام ١٩٩١ امام تحد وجودي يمس جوهر كيانه , فاما ان يتم التغلب على المجاعه الجماعية والبؤس اليومي المتفاقم للملايين من الجنس البشري , ويتم التغلب على الفوارق المعيشية والحضارية الفاقعه بين الدول الغنية والدول الفقيرة , ويتم ايجاد وسيلة لقيام تعاون دولي حاسم , والا فان المستقبل يبشر بكارثة تهدد الجنس البشري في شمال الارض وجنوبها . وهذا ما يؤكد تقرير لجنة الدولية المستقلة لدراسة قضايا التنمية في العالم والذي يوضح بانه ((لايمكن للشمال والجنوب الاستمرار على ما هما عليه الان .. فالازمة التي تعيشها العلاقات الاقتصادية الدولية أخذة في التفاقم وهي تمر الان بمرحلة حرجة ... كذلك فان الفجوة بين الدول الغنية والفقيرة .. والتي هي من العمق بحيث يبدو الاغنياء والفقراء كانهم ينتمون الى عصور مختلفة , انهم لاينتمون الى عالم واحد .. لم تسترع هذة الفجوة العناية الكافية , ولم يتم التعامل معها كأزمة رئيسة في الازمات التي تجتاح العالم . ان هذة هي احد ابرز تناقضات عصرنا تبرز في وقت يشعر فيه المجتمع الانساني بعمق ترابطة , بل بعمق ارتباط شماله بجنوبه في اقتصاد عالمي موحد))(٧).

اما الحل المقترح لتضييق هذة الفجوة وانهاء حالة التخلف , وتحقيق التنمية في الجنوب فهو تعميق الحوار الصريح والجاد بين الشمال والجنوب من اجل اقامة نظام اقتصادي دولي جديد . فالنظام الاقتصادي العالمي حتى العام ١٩٩١ باعتراف الهئيات والمؤسسات الدولية المتخصصة , هو الذي خلق هذه الفجوة وهو المسؤول عن استمرارها واستمرار حاله الفقر الجماعي وحالة التخلف الاقتصادي والتقني في الجنوب , لذلك فان العالم كان مطالبا انذاك باحداث تحولات بنيوية في مجمل قواعد وشروط العلاقات الاقتصادية الدولية , وايجاد نظام اقتصادي عالمي يكون اكثر عدلاً وانصافا , واكثر ملائمة للتطورات والمستجدات السياسية والاقتصادية في العالم المعاصر . يقول الامين العام للامم المتحدة دي دوكولار ((ان النظام الدولي للعلاقات الاقتصادية والتجارية الذي وضع منذ ثلاثين عاما هو الان وبوضوح غير موات لاحتياجات المجتمع الدولي ككل . وقد كان الاتهام الموجه لهذا النظام في الماضي هو انه يعمل لصالح الاغنياء وضد فقراء العالم , ولكن يمكن القول الان

ان هذا النظام لم يعد يعمل حتى لصالح الاغنياء))(٨).

لكن كيف يمكن اقامة نظام اقتصادي عالمي اكثر عدلاً ؟ وهل يمكن اقامته من خلال الحوار ؟ وما هي طبيعة الحوار بين الشمال والجنوب ؟ وما هو عمق الفجوة الاقتصادية والمعيشية بين الشمال والجنوب ؟وما هو الخلل في العلاقات بين الشمال والجنوب ؟ وقبل هذا وذاك من هو الجنوب ومم يتكون , وما هي ازماته وما هو حجم معاناته وهمومه ؟

المبحث الاول

خصائص دول الجنوب

يتكون الجنوب من مجموعه كبيرة ومتنوعة من الدول تقدر بحوالي ١٣٠ دولة تضم معظم قارة اسيا , وقارة امريكا اللاتينية , وكافة القارة الافريقية . وتبلغ مساحة الجنوب ٧٨ مليون ميل مربع , اي حوالي ٦٠% من اجمالي مساحة الكرة الارضية . ويبلغ عدد سكانه اربعة الاف مليون نسمة , اي ٧٥% من سكان الارض يعيش ٧٠% منهم كمزارعين وفلاحين في الارياف والقرى النائية .

اما اجمالي الناتج القومي لجميع دول الجنوب فهو ٢،٥ الف مليون دولار , وهو يساوي ٢٠% من اجمالي الناتج القومي العالمي و ٥٠% من اجمالي الناتج القومي لدولة واحدة من دول الشمال الا وهي الولايات المتحدة الامريكية . ويبلغ متوسط دخل الفرد السنوي في الجنوب ٤٠٠ دولار , وما زال ٦٠% من اجمالي سكان الجنوب يعانون من الامية . وفي بعض مناطق الجنوب تصل نسبة الامية الى ٩٠% بالاضافة الى ذلك فأن ٩٠% من سكان الجنوب لايحصلون على العناية الصحية الكافية حيث يوجد في المعدل طبيب واحد لكل ٧٠٠ نسمة , وفي اشد المناطق فقرا هنالك طبيب واحد لكل ٥٩ الف نسمة .

ونتيجة ذلك فان متوسط عمر الفرد في الجنوب لايزيد عن ٥٩ سنة , وفي بعض المناطق يبلغ متوسط عمر الفرد ٣٩ سنة فقط , ويعيش ٢٥٠ مليون نسمة من سكان الجنوب في الاكواخ وفي بيوت من الصفيح , ويتضاعف عدد سكان بيوت الصفيح والتنك في الجنوب بمعدل خمسة عشر مليون نسمة سنويا , ويتضاعف عددهم كل خمس سنوات , وفي عام ١٩٩١ كان عدد سكان بيوت الصفيح ٥٠٠ مليون نسمة .

وكما هو متوقع يتركز سكان الجنوب في الاساس في الارياف وفي القرى , ولاتتجاوز نسبة سكان المدن ٣٠% من اجمالي سكان الجنوب , وفي بعض المناطق لايزيد عدد سكان المدن على ٩% فقط من اجمالي السكان , ومما يزيد الوضع سوءا في الجنوب هو ان اربعة اشخاص من كل خمسة من سكان الجنوب لايحصلون حتى على ماء نقي صالح للشرب , وفي بعض المناطق في قارة افريقيا تبلغ نسبة من لايحصلون على الماء النقي اكثر من ٩٠% من اجمالي السكان (٩).

فالجنوب , أذا , يمتاز بظروفه المعيشية والاقتصادية والاجتماعية القاهرة , فدخل الفرد فية منخفض والنمو شبه منعدم , ونصيبة من الانتاج والاستهلاك العالمي لايتناسب مطلقا مع اتساع مساحته وكثافة سكانه , لكن , رغم ذلك , لايمكن تعميم هذا الوضع الحياتي المتدهور على جميع دول الجنوب التي تمتاز باختلاف طور نموها الاقتصادي وتباين نظمها السياسية والاجتماعية والعقائدية .

يقول جان سان جور في كتابة ضرورة التعاون بين الشمال والجنوب : انه لمن الخطأ الجسيم الاعتقاد بان الجنوب هو عبارة عن مجموع متجانس ومكون من بلدان متشابهة الثقافة والظروف الاقتصادية . فرغم البؤس المخيف والمشاكل الحياتية الناجمة عن التضخم في المناطق السكانية الكبرى وعدم المساواة في ظروف المعيشة المؤذنة بالانفجار يلاحظ , على الاقل , بعض التحسن الملموس لجزء مهم من السكان وتوفر طاقة كامنة في المعتقد ان يؤدى استغلالها , الحاصل بالفعل , الى تحقيق التقدم في المستقبل (١٠).

ان دول الجنوب هي بالفعل دول غير متجانسة كليا , حيث تمتاز بالتنوع الشديد وتنقسم الى عدة مجموعات من حيث تطورها الاقتصادي والاجتماعي العام , فمثلا تشكل كل من البرازيل والمكسيك وكوريا الجنوبية وتايوان وسنغافورة والهند المجموعة الصناعية ضمن دول الجنوب . ان هذة الدول هي اكبر الدول الصناعية في الجنوب والتي حققت نموا صناعيا مذهلا خلال العقود الثلاثة ١٩٥٠-١٩٨٠ , لذلك فقد سميت هذة الدول دول " المعجزة الصناعية " . وتاتي البرازيل على راس

قائمة هذة المجموعة من الدول . بل ان البرازيل هي عاشر اكبر قوة صناعية في العالم , ويبلغ اجمالي الناتج القومي للبرازيل ٢١٠ الاف مليون دولار , اي ٢٠ ضعف اجمالي الناتج القومي لبنغلادش , كما يبلغ متوسط دخل الفرد في البرازيل ٢٠٣٢ دولاراً والذي يعادل ٣٠ ضعف متوسط دخل الفرد في قارة افريقيا . لكن بالاضافة الى هذة مجموعة الصناعية فان هنالك ايضا مجموعة متميزة اخرى من دول الجنوب هي الدول المصدرة للنفط . لقد استطاعت دول الجنوب النفطية ان تجني ثروات هائلة من مواردها النفطية خلال الفترة من الفترة ١٩٨٣ الى ١٩٨٥ تقدر بحوالي الف مليون دولار , وتاتي المملكة العربية السعودية والعراق وليبيا والكويت وايران وفنزويلا والامارات العربية المتحدة في مقدمة دول الجنوب النفطية والتي تعتبر في مصاف اغنى دول العالم من حيث متوسط دخل الفرد , فقد بلغ متوسط الفرد في الامارات العربية المتحدة ٢٢٣٠٠ دولار مقابل ١٦١٨٥ للفرد في الولايات المتحدة , و٩١١٤ دولاراً للفرد في فرنسا وذلك عام ١٩٨٦ .

ولاشك في ان دول الجنوب ليست جميعها دولاً نفطية غنية , كما انها ليست دولاً صناعية متقدمة , فهذة الدول هي الاقلية بين دول الجنوب ان الجنوب يتشكل في الاساس من مجموعة من الدول الزراعية الفقيرة نسبياً تقدر بحوالي ٧٠ دولة تضم الف مليون نسمة يتراوح متوسط دخل الفرد فيها , ٢٠٠ و٧٠٠ دولار سنوياً , وهذة الدول يطلق عليها مصطلح الدول النامية او دول العالم الثالث . وهي الدول التي تعاني من صعوبات تنموية وحياتية مرهقة , بيد انها قادرة رغم ذلك على تحقيق قدر من النمو المتواصل يبعدها عن شبح المجاعة والبؤس والفقر المطلق , وهو ما تتميز به المجموعة الاخيرة من دول الجنوب التي تعرف باسم دول " حزام البؤس " . ويبلغ عدد دول حزام البؤس حوالي ٣٠ دولة تنتمي الى منطقة جغرافية ومناخية محددة تمتد من جنوب شرق اسيا مروراً بوسط افريقيا وانتهاء بجزر الكاريبي وامريكا الوسطى . وتاتي دول مثل مالي وموزمبيق واوغندا وتشاد والصومال واثيوبيا وغانا والنيجر وبنغلادش وكمبوديا ولاوس بالاضافة الى هايتي وغيانا وهندوراس والسلفادور في مقدمة هذة المجموعة من دول الجنوب التي يطلق عليها , مجازاً , اسم " دول العالم الرابع " . ان هذة الدول هي اشد دول العالم فقراً , وهي اكثر فقراً حتى بمعايير فقر الجنوب , اي ان فقرها فقر مطلق , ولم تحقق اي دولة من هذة الدول اي نمو حقيقي خلال العقدين ١٩٧٠-١٩٨٠ , بل ان معظمها قد سجل نمواً سالباً لذلك فان متوسط دخل الفرد فيها يعادل الصفر , واحيانا يزداد تراجعاً , كما يتراجع فيها معدل جميع المؤشرات الحياتية والاجتماعية الاخرى كنصيب الفرد في وحدات السعر الحراري ونصيب الفرد من الاستهلاك , ونصيبه من التعليم , ونصيبه من الرعاية الصحية . ان هذة الدول تعاني من الحد الاقصى من المعاناة الانسانية اليومية في الوقت الذي يتوقع ان يتزايد باضطراد عدد سكان دول حزام البؤس وربما تجاوز ثلاثة الاف مليون نسمة سنة ٢٠٢٥ (١١) .

ان هذا التزايد المضطرد في عدد سكان دول حزام البؤس سيزيد , بلا شك , من تدهور الاوضاع المعيشية المتدهورة اصلاً , كما سيؤدي الى تزايد حالات المجاعة وتزايد عدد الفقراء والاميين والوفيات بين الاطفال . ويتوقع ان يؤدي الازدياد السكاني الى انخفاض حاد في متوسط دخل الفرد الذي اصبح لايتجاوز ٥٠ دولاراً بالنسبة لعدد كبير من سكان هذة الدول . يقول الدكتور الزنابيلي : ان حوالي ٩٠٠ مليون نسمة يعيشون من دخل سنوي عن ٧٥ دولاراً منهم حوالي ٦٥٠ مليون نسمة يعيشون في حالة الفقر المدقع وبدخل سنوي يقل عن ٥٠ دولاراً .... في حين ان ما يعادل ٧٠٠ مليون نسمة يعيشون في يأس قاتل وفي حالة من سوء التغذية الدائمة (١٢) , كأنما لايكفي ما تتحمله هذة الدول من المعاناة الراهنة , فقد تدخلت الطبيعية مؤخراً بعواملها البيئية والمناخية لكي تضاعف من بؤس هذة الدول . فقد ادى الجفاف من ناحية والفيضانات من ناحية اخرى واسراب الجراد من ناحية ثالثة الى انخفاض في انتاج الاغذية بمعدل قدره ٠,٤% , وانخفاض حاداً بلغ ١٠% في دول (حزام البؤس) الواقعة في قارة افريقيا (١٣) , لقد حدث هذا التدهور في الانتاج الزراعي في الوقت الذي ازداد فيه استهلاك الاغذية بسرعة كبيرة تبلغ ٣,٥% سنوياً في المتوسط . لذلك اضطرت دول _حزام البؤس) الى زيادة وارداتها من الاغذية من الخارج . فقد نتج منه تدهور في ميزانها التجاري , وضاعف من اعتمادها على الدول الراسمالية المصدرة للحبوب معرضة نفسها لمخاطر سياسية بالغة بما في ذلك التلاعب بمصائرها على ايدي المتحكمين بمخازن الغلة في العالم , يقول الدكتور فؤاد زكريا : ((لقد اصبح الغذاء في عالمنا سلاحاً سياسياً يستخدم ببراعة وبلا ضمير في تذويب مقاومة الشعوب الفقيرة , واخضاعها لسياسات الدول التي تمسك بمفاتيح الغلة في لعالم (١٤) .

ان هذا الجوع او بالتجويع الجماعي الذي يتعرض له سكان الدول الفقيرة يحدث في الحقيقة في عالم الوفرة , وفي عالم ينتج فعليا اكثر من حاجة سكانه . لذلك فانه ((ليس هناك اساس لفكرة انه لايوجد من الغذاء ما يكفي الجميع على مستوى العالم)) (١٥) . فالعالم ينتج كمية من المواد الغذائية كافية لاطعام سكان الارض كافة , بل ان الانتاج الغذائي العالمي الان يمكن ان يزود كل فرد في العالم باكثر من حاجاته من الغذاء اليومي , ويفوق كثيرا مستويات توصيات منظمة التغذية والصحة العالمية , ورغم ان ما ينتج عالميا هو وفير واكثر من المطلوب لاطعام سكان الارض , ورغم ذلك فان هناك الف مليون يعانون من المجاعة وسوء التغذية في العالم ويعود السبب الاساسي في ذلك الى انعدام المساواة وانعدام العدالة , والى الفروقات الهائلة في مستوى المعيشة بين دول العالم , والى سوء التورزيع بالاضافة الى استغلال الغذاء تجاريا لاغراض الربح , لذلك فانه ((لن يكون هناك امن غذائي حقيق مهما بلغ الانتاج ما دامت موارد انتاج الغذاء تسيطر علها اقلية ضئيلة وتستخدم فقط لاثرائها))(١٦) .

لقد تراكمت الصعوبات على سكان دول (حزام البؤس) واصبحت الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية كابوسا يوميا متواصلا , حيث يعيش الفرد منهم فقط لانه غير قادر على الموت , واصبح هدف الفرد من هؤلاء هو مجرد البقاء بعد ان اصبحت الاغلبية في وضع صحي لايسمح لها بان تعيش حياة منتجة , بل اصبح البعض الاخر محروما حتى من تحقيق قدراته الوراثية , ذلك الحق الطبيعي الذي يعطيه ظهور الانسان على الارض (١٧) , ان مئات الملايين من سكان دول (حزام البؤس) هم من دون عمل , وعندما يكون هناك عمل فان الاجر منخفض وظروف العمل عادة ما تكون قاسية وغير محتملة انسانيا , ويضطر مائة مليون طفل دون سن الخامسة عشرة القيام باعمال مرهقة لقاء مبالغ تافهة , وفي ظل ظروف سيئة رغم وجود قرار دولي بتحريم استخدام االعمال من صغار السن والاطفال . ان هؤلاء الاطفال يشكلون ارخص قوة عمل في العالم وهم مضطرون للعمل كي لايموتوا جوعا ولكي يوفروا الغذاء لعائلاتهم , لكن رغم ما يعانيه ويكابده هؤلاء الاطفال من مشقة العمل فانهم نسبيا أحسن حظا ربما مقارنة باوضاع الاطفال الاخرين , ففي دول حزام البؤس يموت طفل واحد من بين كل طفلين قبل ان يصل الخامسة من العمر , بل ان سبعة وعشرين طفلا افريقيا من كل مائة طفل يموتون من الجوع ونقص التغذية قبل بلوغهم عاما واحدا من العمر . ان الاطفال والنساء هم اكثر الفئات الاجتماعية تضررا ومعاناة من واقع الفقر والجهل والمرض السائد في دول (حزام البؤس) حيث تشكل المراة وحدها ٧٠% من اجمالي عدد الفقراء في الجنوب في حين ان ٦٠% من نساء هذة الدول يعانين من سوء التغذية ونقص الحديد وخصوصا الحوامل منهن , فالفقر المدقع والاسطوري هو , الى درجات كبيرة , ظاهرة نسائية . بالاضافة الى ذلك فان المراة في هذة الدول هي ايضا اكثر تعرضا للامراض من الرجل مما يؤدي الى انخفاض مذهل في متوسط عمر الانسان عموما , حيث ان متوسط عمر المراة هو اقل من متوسط عمر الرجل وفي دول الجنوب (وهذا هو عكس واقع الحال بالنسبة للمرأة في الشمال)(١٨) . يقول تقرير اللجنة الدولية للتنمية : ان المراة في دول الجنوب لاتستطيع ان تطور اوضاعها ما دامت السلطة والقرار بيد الرجل بما في ذلك امر تحديد النسل , فقد اظهرت جميعه الدراسات استعداد المرأة الطبيعي لتحديد النسل , لكن الرجل هوالذي يظل المعارض الاكبر لهذا القرار , والسبب الوحيد في ذلك يرجع الى ان الرجل في الجنوب ينظر الى الانجاب والاطفال نظرة اقتصادية بحتة في حين ان المراة تنظر الى الانجاب من خلال الاعباء الجمة المصاحبة له ولرعاية الاطفال , وهي اعباء تتحملها المراة وحدها)) (١٩) .

لقد اصبحت معاناة النساء والاطفال والمسنين وجميع الفئات الاجنماعية الاخرى في دول (حزام البؤس) هي معاناه اسطورية لم يعد يجدي معها العلاج الاشفاقي السريع , ان هذة المجموعة من الدول تظهر عمق الفقر والمأساة والبؤس السائد في الجنوب , بيد انه ينبغي الا تخفى حقيقية وجود دول اخرى في الجنوب اقل معاناة , وان هناك دولا جنوبية بلغت درجات عالية من التصنيع والتقدم والغنى , فدول الجنوب لاتتكون فقط من دول (حزام البؤس) , بل تتكون من دول غنية ودول نفطية ودل صناعية نامية ودول فقيرة ودول شديدة الفقر واخرى تشبعت بالبؤس وبلغت الحد الاقصى من المعاناة الانسانية , فالتنوع الاقتصادي والتنموي هو احد اهم مميزات دول الجنوب التي يتصف ايضا بتباعد دوله جغرافيا وتقنيا ولغويا وثقافيا . ان دول الجنوب المتنوعة ماديا هي ايضا دول تنتمي الى حضارات وايديولوجيات شتى , ولها تجارب حياتية ومواقف سياسية متباينة بل احيانا متضاربة (٢٠) , ويبدوا ان دول الجنوب تختلف فيما بينها اكثر كثيرا

من الاختلافات القائمة بين دول الشمال التي تمتاز بقدر من التجانس الجغرافي والعقائدي والحضاري والاقتصادي الذي لايتوفر لدول الجنوب .

ولكن رغم هذا التباعد والتنوع بين دول الجنوب الا ان هناك ايضا العديد من الخصائص المشتركة التي تميز هذة المجموعة من الدول عن غيرها , وتبرزها كوحدة واحدة متميزة من وحدات عالمنا المعاصر , ان هذة الوحدة تتميز اكثر ما تتميز باختلافها العلمي والتقني والحضاري عن الشمال . ان دول الجنوب تختلف اختلافا شديدا في كل جانب من جوانب الحياة عن الشمال . وهذا الاختلاف هو من العمق ومن الوضوح , بل هو من الاهمية بحيث يمكن تصنيف المائة والثلاثين دولة من دول الجنوب المختلفة تحت اطار واحد والاشارة اليها جميعا كعالم قائم بذاته هو عالم الجنوب , ان عالم الجنوب يختلف تاريخيا واقتصاديا وسياسيا , بل يختلف ايضا نفسيا وسكولوجيا عن الشمال . وهذه الاختلافات التاريخية والاقتصادية والسياسية والنفسية هي التي تقرب دول الجنوب الى بعضها البعض , وتضفي عليها ميزات خاصة لابد من توضيحها توضيحا سريعا الان .

تمتاز دول الجنوب عن دول الشمال تاريخيا بتجربة الاستعمار وبتجربة الارث الاستعماري , فجميع دول الجنوب عانت طويلا من الاستغلال والاحتلال والنهب الاستعماري الذي امتد في بعض الحالات اكثر من اربعمائة سنة , لقد تعرض الجنوب خلال هذه الفترة الاستعمارية الطويلة الى اكبر عملية نهب في التاريخ أدت الى تعطيل نموه واجهاض تطوره الطبيعي , ان هذا النهب الاستعماري التاريخي هو الذي تسبب في خلق تخلف دول الجنوب في الوقت الذي ساعد دول الشمال على تحقيق التقدم والازدهار والانتعاش والتطور , اي ان تقدم دول الشمال الراهن قد تحقق على حساب تخلف دول الجنوب , ورغم ان معظم دول الجنوب قد حصلت على استقلالها السياسي والقانوني في اعقاب انحسار المد الاستعماري الاوروبي بعد الحرب العالمية الثانية , بيد انه , كما يقول جوزيف كاميللري , (لأمر مشكوك فية كثيرا ما اذا كان تحرر هذه الدول من وضعها الاستعماري السابق قد ادى الى استقلال اقتصادي صحيح أو حتى استقلال سياسي , ان تجربة امريكا اللاتينية منذ اوائل القرن التاسع عشر , واكثر الدول الافريقية والاسيوية التي ظهرت حديثا تدل كلها على ان انتقال السلطة الشرعية كان يلازمه اطار من العلاقات الاقتصادية شبه استعمارية أو استعمارية جديدة). ان استمرار العناصر الاقطاعية والتركة المتبقية التي خلفتها السلطات الاستعمارية افضت الى انتاج انظمة اجتماعية مصطنعة مبتورة الاوصال , عاجزة عن حشد الطاقات والثروات لدى رعاياها , وغير قادرة على تحرير اقتصادياتها الوطنية من القيود المفروضة من قبل النظام العالمي الذي استمرت الدول الصناعية المتقدمة في السيطرة عليه طوال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية (٢١) , فالتركة الاستعمارية مازالت قائمة في احشاء مجتمعات الجنوب , كما ان الهيمنة الاقتصادية الخارجية ما زالت فاعلة ومؤثرة وتعمل على ابقاء دول الجنوب في حالة التخلف والفقر والتبعية وتنتج تلك الفجوة الهائلة بين الدول الفقيرة في الجنوب والدول الغنية في الشمال (٢٢) .

واذا كانت التجربة الاستعمارية هي الميزة التاريخية الاولى التي توحد دول الجنوب , ورغم تباينها الشديد , فان النتائج الاقتصادية والسياسية والنفسية التي افرزتها هذة التجربة التاريخية هي ايضا سمات وخصائص اضافية مهمة تميز دول الجنوب من الشمال وتفسر بعضا من جوانب تخلف دول الجنوب وفقرها التنموي والتحديثي فاقتصاديا تعاني دول الجنوب من التبعية الاقتصادية والتقنية والمالية, كما تعاني معظم دول الجنوب من تغلغل الاحتكارات الدولية وتحكمها في اقتصادياتها وقراراتها وخططها التنموية ومؤسساتها الامنية والحيوية , ان جميع اقتصاديات الجنوب هي اقتصاديات خاضعة لهيمنة الدول الراسمالية , ومرتبطة عضويا بالنظام الراسمالي العالمي الذي يفرض عليها القيام بوظيفة اقتصادية هامشية وطرفية ومتخصصة في انتاج وتصدير المواد الاولية الى الدول الصناعية واستيراد السلع المصنعة الاستهلاكية منها , هذه هي الوظيفة الاقتصادية التقليدية التي يؤديها جميع دول الجنوب , ان هذة الوظيفة , كما يقول عنها كولن ليز , قد ((فرضت تاريخيا بالقوة من قبل التجار الاوروبين الراسماليين (٢٣) وهي قائمة على اسس من العلاقات الاقتصادية غير المتكافئة بين الشمال والجنوب تؤدي الى تشوهات اقتصادية وبنيوية داخلية تولد بدورها نظاما اجتماعيا وسياسيا وثقافيا مشوها ومتخلفا وغير مستقر , فلا عجب ان دول الجنوب هي التي تعاني باستمرار من عدم التقدم السياسي والاجتماعي , وهي التي تتعرض للثورات والانقلابات والاضطرابات المتكررة , وتكون فريسة للحروب الاهلية والاقليمية المدمرة التي تستنزف طاقات الجنوب الانتاجية والبشرية , لذلك فان اهم سمة سياسية تميز الجنوب من الشمال هي سمة عدم

الاستقرار والتفكك السياسي حيث نجح الاستعمار (والارث الاستعماري) في تعطيل النمو السياسي والاجتماعي , وحال دون استكماله لنضوجه , ورسخ تشرذم شعوب الجنوب الى قبائل وطوائف متناحرة تفتقد الى الانتماء والولاء الوطني والقومي , لقد ظلت معظم دول الجنوب تقليدية وتابعة تتحكم بها صفوة اوليغارشية وتقليدية محافظة ومتعاونة مع الاحتكارات الدولية والقوى الامبريالية التي تساهم في ديمومة تبعية الجنوب للنظام الراسمالي العالمي . ان هذا الواقع السلطوي يختلف عن واقع الاستقرار والديمقراطية والعقلانية السائد في الشمال , لقد ادى هذا الواقع السياسي المضطرب غير المستقر الى تعزيز شعور شعوب الجنوب بالضعف والدونية تجاة الشمال , ان شعوب الجنوب تحس عموما بثقل التحدي العلمي والتقني الذي يمثله الشمال , كما تشترك شعوب الجنوب في الاحساس بعدم المساواة مع الشمال , وبعمق الفارق بينهما , وعدم القدرة على مجاراة انجازاته , ان هذا العامل النفسي الذي ينتشر بين شعوب الجنوب يدفعها في الوقت نفسة الى الاحساس المشترك باهمية التخلص من هيمنة الشمال , والتخلص من التبعية له والانبهار الشديد بنموذجه الحياتي والفكري . لذلك فانه بالرغم من جميع التباينات الايديولوجية والثقافية الواضحة بين دول الجنوب الانها جميعا تتمتع باستعداد نفسي مشترك لتجاوز((حالة الجنوب)) , اي حالة التخلف وحالة التفكك وحالة التبعية وحالة الشعور بالدونية والضعف والانهيار الساذج تجاه الشمال .

ان الذي يعزز وحدة الجنوب هو وجود وعي جماعي لدى سائر شعوبه بانها جميعا امام تحدي حضاري ووجودي مشترك , وان عليهم مهمة مركزية واحدة هي مهمة تحقيق التنمية وترسيخ الاستقلال وبناء الدولة الحديثةوانهاء هيمنة الشمال السياسية والاقتصادية والفكرية على الجنوب , ان هذا الوعي المشترك بالمعاناة وبالاهداف هو الذي أخذ يقرب دول الجنوب بعضها الى بعض وهو الذي اخذ يؤكد على شخصيتها الدبلوماسية الموحدة في الهيئات والمنظمات الدولية وخصوصا في حوار الجنوب من دون استثناء , وباقامة نظام اقتصادي عالمي جديد , واعادة ترتيب مجمل العلاقات والارتباطات التجارية والمالية والاقتصادية والدولية الراهنة والتي تسبب في خلق وتعميق الفجوة الحياتية القائمة بين الشمال والجنوب

المبحث الثاني :

الفجوة بين الشمال والجنوب :

ان الشمال متفوق على الجنوب في كافة مجالات الحياة تفوقا مطلقا . فدول الشمال هي الدول الصناعية والمتقدمة , وهي الدول الغنية والحديثة , وهي الدول النووية العظمى التي تتصدر تطور العالم وتحدد شكل مستقبل البشرية جمعاء . وتحتل دول الشمال ٣٣% من مساحة الارض ويقطنها ١١٠٠ مليون نمسة , اي ٢٥% من سكان العالم ويسكن معظمهم المدن . ويبلغ اجمالي الناتج القومي للشمال عشرة الاف الف مليون دولار , وينفق منه ٦٠٠ الف مليون دولار لاغراض سباق التسلح ولتجهيز قوات مسلحة قوامها احد عشر مليون جندي (٢٥). في الشمال أيضا أحد عشر مليون مدرس وثلاثة ملايين طبيب , أي ضعف عدد الأطباء في الجنوب بالرغم من أن عدد سكان الجنوب يساوي أربعة أضعاف عدد سكان الشمال (٢٦). ويمتاز الشمال بتجانسه الحضاري والاقتصادي وباستقراره السياسي وبتمتعه بالديمقراطية وباحترامه الشديد لحقوق الإنسان المدنية والسياسية . ولقد حقق الشمال العديد من الإنجازات العلميةوالتقنية وبلغ مستويات عالية من الرفاهية الاجتماعية ، ويمكن اعتبار سكان الشمال بأنهم المحظوظون والمرفهون في هذا العالم مقارنة بسكان الجنوب عموما , بل حتى مقارنة بأغنى أغنياء الجنوب . لذلك فإنه عند مقارنة نوع الحياة في الشمال بنوع الحياة في الجنوب تبدو بكل وضوح تلك الفجوة الاقتصادية الصارخة والمجافية للعقل والمنطق والتي تفصل الشمال عن الجنوب وتميز شعوب الشمال عن شعوب الجنوب ، وتجعل من الشمال عالما قائما بذاته يختلف اختلافا نوعيا عن عالم الجنوب كأنهما عالمان منفصلان ينتميان إلى زمانين وعالمين متباعدين كل التباعد .إن الفجوة بين الشمال والجنوب هي فجوة مطلقة ونسبية (٢٧) في الوقت ذاته . كما أن الفجوة بين الشمال والجنوب هي فجوة قديمة تعود إلى بداية عصر الثورة الصناعية في أوروبا وانتشار الاستعمار الأوروبي على الصعيد العالمي . وبالرغم من قدم هذه الفجوة إلا أنها تضاعفت وبشكل مقلق في الآونة الأخيرة .وازدادت الفجوة المطلقة بين الشمال والجنوب أكثر من الضعف خلال العقدالماضي فقط , وأصبحت بالتالي أكثروضوحا وشمولية وأكثرخطورة من أي وقت مضى . لذلك فإن مايقلق العالم اليوم هوأن الفجوة بين الشمال والجنوب آخذة في التزايد والاتساع

بشكل مضطرد يهدد استقرار العالم ، ويخلق شرخا وخللا عميقا في بنية النظام الدولي . لقد كانت الفجوة المطلقة فى الدخل بين الشمال والجنوب تقدر٢: ١ لصالح الشمال في بداية هذا القرن , ثم تضاعفت هذه الفجوة تدريجيا عشرين ضعفا وأصبحت ٢٠: ١سنة ١٩٦٠ ، وقفزت خلال عشرين سنةإلى ٤٠: ١سنة ١٩٨٠ ،,وفي الاعوام الخمسة الاولى من عام ١٩٩٠- ٢٠٠٠ اصبحت تساوي ٤٦: ١ ، لصالح الشمال ((وفضلا عن ذلك فإنه لم يكن في استطاعة بلد نام تقليص فجوته المطلقة مع البلدان المتقدمة خلال هذه الفترة)) (٢٨) . كذلك فقد كانت الفجوة في معدل دخل الفرد في الشمال إلى معدل دخل الفرد في الجنوب تساوي ٧: ١ سنة ١٩٦٠، وبدلا من أن يتحسن هذا المعدل فإنه في الواقع ازداد تراجعا خلال العقود الثلاثة الأخيرة وأصبح يساوي ١٠ : ١سنة ١٩٩١ (٢٩). ويقدر البعض حجم الفجوة المطلقة بين الشمال والجنوب بحوالي ٦٠ سنة حضارية في حين يؤكد البعض أن هذه الفجوة الحضارية هي من العمق بحيث إنه حتى لوقدر للجنوب أن يحقق معدلات هائلة وسريعة من النموء وأصيب في المقابل الشمال بركود تنموي وحضاري وعلمي وتقني شامل فإن الجنوب , بما في ذلك دوله الصناعية والنفطية والغنية ، لن يستطيع خلال مائة سنة قادمة من تضييق الفجوة المطلقة الراهنة بين الشمال والجنوب (٣٠) . ويعود جزء من السبب في ذلك إلى أن العالم المعاصر ككل سيقبل على فترة من الركود ومن الأزمات الحادة . يقول جاك لوب ، مؤلف كتاب « العالم الثالث وتحديات البقاء » , « إنه إذا ما استمرت الاتجاهات الحالية فان العالم في العام 2025 سيكون أكثر اكتظاظا بالسكان ، واكثر تلوثا وأقل استقرارا من الناحية البيئية , وأكثرتعرضا للاضطراب من العالم الذي نعيش فيه الآن . . . وعلى الرغم من أن الناتج المادي سيزداد إلا أن سكان العالم سيكونون من نواح كثيرة أشد فقرا مما هم عليه . وبالنسبة لمئات الملايين من البشر الفقراء إلى حد اليأس لن تكون آفاق الأغذية وضرورات الحياة الأخرى أفضل مماهي عليه اليوم , بل إنها بالنسبة للكثيرين ستكون اكثرسوءا . . . إن الحياة بالنسبة لغالبية الناس على وجه الأرض ستكون أقل استقرارا في العام 2025 مما هي عليه في اعوام ، مالم تعكف أمم العالم على عمل حاسم لتغيير الاتجاهات الحالية)) (٣١) . إن أبرز مؤشر اقتصادي للفجوة بين الشمال والجنوب هو مؤشر عدم المساواة والاختلال الكبير في حجم مايمتلكه كل من الشمال والجنوب من ثروات العالم المعاصر . فالشمال يحتكر ما مجموعه ٨٠% من ثروات الأرض في حين أن الجنوب ، حيث أغلبية سكان الأرض لايحصل إلا على ٢٠% من إجمالي الناتج القومي العالمي , إن هذا الاختلال الكبير في توزيع الثروة العالمية بين الشمال والجنوب هو محصلة .لاحتكار وتحكم الشمال في مجمل الانتاج والنشاط.الصناعي والتجاري والمالي في العالم . فصناعيا يتحكم الشمال في ٩٠% من إجمالي الانتاج الصناعي العالمى في الوقت الذي يبلغ فيه نصيب الجنوب ، بكل طاقاته وموارده وثقله السكاني,١٠% من القيمة الصناعية المضافة فى العالم . ويلاحظ أيضا أن هذا الإسهام الضئيل أصلا هو في حقيقته مقتصر على عشر دول فقط من دول الجنوب الصناعية البارزة . وهذا يعني أن أغلبية دول وشعوب الجنوب ليست لها علاقة , من قريب أو بعيد ، بالانتاج الصناعي العالمي , حيث لاتزيد مساهتهم بأي حال من الأحوال عل ٠,٧% فقط .أما في مجالات التجارة في العالم ، ورغم أن حجم التجارة الدولية قد تضاعف ثلاث عشرة مرة منذ سنة ١٩٥٠ ، فإن هذه الزيادة لم يتسفد منها سوى الشمال الذي استطاع من خلال هيمنته على شروط وقواعد التجارة الدولية الاحتفاظ بـ ٨٧%. من إجمالي النشاط التجاري العالمي في حين تراجع نصيب الجنوب إلى ١٧%. فقط سنة ١٩٨٧ بعد أن كان نصيبه ٢٠%. سنة ١٩٧٠، و ٣٠% سنة ١٩٥٠ (٣٢) . وتظهر البيانات عن التجارة الدولية أن حصة الجنوب من الصادرات الدولية قد تراجعت إلى مجرد ١٢% بعد أن كانت١٧% ، و ٣٠% عامي ١٩٧٠ و ١٩٥٠ على التوالي . وبالرغم من أن الجنوب هوالذي ينتج ومصدر أكثر من ٤٠% من المعادن ، و ٣٥% من النفط , و ٩٣% من القصدير، و ٦٠% من الخشب ، و٤٢% من إنتاج القطن إلعالمي ، إلا أنه يخسر سنويا عشرة ألاف مليون دولار في تجارته مع الشمال , وذلك بسبب تقلب الأسعار، وتحكم الشمال في شروط النظام التجاري الدولي الراهن الذي شيد منذ عهد الاستعمار وظل قائما رغم انحسار وانهيار الاستعمار الأوروبي سيما بعد ظهرت منظمة التجارة العالمية التي تسيطر على ادراتها دول الشمال. يقول جوزيف كاميللري : ((إن النظام العالمي للتبادل غير المتكافئ يتجلى بصورة فاقعة في أساليب التجارة التي توطدت إبان فترة الاستعمار والتي بقيت منذ ذلك الوقت معمولا بها على الرغم من انحسارالاستعمار واسع النطاق . إن التركة

الاستعمارية من تبعية وتصدير المواد الخام والمنتجات الصناعية ظلت مصونة طوال الفترة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية)) (٣٣) . هذا على الصعيدين الصناعي والتجاري , أما في الاعوام الاولى في عقد (١٩٩٠- ٢٠٠٠) فإن الشمال يحتكر ٨٠% من إجمالي الارصدة والأوراق النقدية ، و ٩٠% من إجمالي العملات الأجنبية , و ٨٥% من احتياطات الذهب في العالم , مما يعني أن حصة الجنوب من الأرصدة النقدية والعملات الأجنبية واحتياطات الذهب هي ٢٠% و١٠% و١٥% على التوالي . من ناحية أخرى فقد استطاع الشمال أن يعزز هيمنته المالية على الجنوب من خلال ربطه بشبكة معقدة من الديون الخارجية . فقد تزايد حجم ديون الجنوب بصورة مذهلة خلال العقدين الماضيين وتجاوز حاجز الألف ألف مليون دولار في سنة ١٩٨٦ بعد أن كان ٤٧٠ ألف مليون دولار سنة ١٩٨٠، و٢٦٠ ألف مليون دولار سنة ١٩٧٧ ء و ٦٨ ألف مليون دولار سنة ١٩٧١، أي أن ديون الجنوب الخارجية قد تزايدت بنسبة ١٤٠٠ % خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة . لذلك فإن ما تدفعه دول الجنوب من فوائد عل ديونها الخارجية المتراكمة قد بلغ مائة وعشرة آلاف مليون دولارسنويا , اي بمعدل عشرةآلاف مليون كل شهر ، دون أن يؤدي ذلك إلى تخفيض حقيقي في ديون الجنوب, بل إنه بالرغم من هذا الاستنزاف الخطير لرأسمال الجنوب فإن مديونية الجنوب تزداد بنسبة تتراوح ما بين ١٠_ ١٥ % كل سنة . لذلك بلغت دول الجنوب مرحلة العجز الكلي عن دفع هذه الديون الضخمة جداً وأصبحت الآن عاجزة حتى عن دفع فوائد هذة الديون (٣٤) . لكن تفوق الشمال لايقتصر على النواحي التجارية والصناعية والمالية وانما يتضمن أيضا تفوقاً في الإنتاج والآستهلاك العالميين . فالشمال هوالذي ينتج وهو الذي يتسهلك ٩٠% من إجمالي الإنتاج والاستهلاك العالمي في حين يكتفي الجنوب بكل كثافته السكانية الكبيرة بـ ١٠%. فقط من إجمالي الانتاج والاستهلاك في العالم . يقول جان سان جور: ((إنه إذا استمرت الأمور على ماهي عليه فمن المرجح ان أوضاع الجنوب تأكيدا لن تتحسن ، وبالتالي فانه لن يحصل حتى على ال١٠% من الإنتاج العالمي الراهن))(٣٥) . إن الشمال يتسهلك سنويا اثنى عشر ضعف مايتسهلكه الجنوب ويبلغ استهلاك الشمال من الطاقة مائة ضعف استهلاك الجنوب , كما يتسهلك الشمال ٨٥%. من الإنتاج النفطي العالمي , بل إن ما تستهلكه السيارات الخاصة في الشمال من الوقود يساوي استهلاك جميع دول الجنوب من الطاقة بجميع أشكالها . ويقدر أن الفرد الواحد في الولايات المتحدة يستهلك من الطاقة مايستهلكه ٤٥٠ فردا في مالي ، و ١٠٧٢ فردا في النيبال(٣٦) . بيد أن الشمال لايستهلك فقط وانماهو أيضا مصدر كل الإنتاج في العالم ، حيث تنتج اقتصاديات الشمال كل سنتين أوثلاث سنوات ثروة اضافية تعادل أو تفوق إجمالي ثروة اقتصاديات الجنوب مجتمعة(٣٧) . ويقدر أن انتاجية الفرد في الشمال تساوي سبعة عشر ضعف انتاجية الفرد في الجنوب , لذلك يتقدم الشمال على الجنوب بنسبة ١٨٠ دولاراً لكل نسمة في السنة الواحدة في حين ان الجنوب يتقدم بنسبة دولار واحد لكل نسمة في كل عام(٣٨) . إن لهذه الفجوة الهائلة في انتاجية الفرد في الشمال والجنوب مترتبات على صعيد الفارق في متوسط دخل الفرد السنوي في كل من الشمال والجنوب . فقد ارتفع الفارق في متوسط دخل الفرد السنوي في الشمال إلى متوسط الفرد السنوي في الجنوب من ١: ١١ لصالح الشمال سنة ١٩٥٠ إلى ١: ١٥ سنة ١٩٨٠, وأصبح ١ : ١٨ لصالح الشمال سنة ١٩٨٧. إن هذا الفارق الكبير في متوسط دخل الفرد هومؤشر حيوي ويعرف عموما ((بالهوة العالمية بين المداخيل)) .

هذه الهوة العالمية بين المداخيل هي في حقيقتها هوة مركبة من عدة مؤشرات حياتية اجتماعية مثل مستوى الرفاهية , ومستوى السعادة والبؤس ، ومستوى إشباع الاحتياجات الرئيسة للإنسان ، ومستوى حصول الفرد على السعرات الحرارية ، ومستوىالحصول على البروتين اليومي , ومستوى الوفيات بين الرضع ، ومستوى الأمية , ومتوسط عمر الفرد، وعدد السكان لكل طبيب , ونسبةالحاصلين على ماء صالح للشرب . وعند استعراض بعض من هذه المؤشرات في كل من الشمال والجنوب تتجلى بشكل واضح الأبعاد الحقيقية للفجوة بين الشمال والجنوب .. ... فمثلا يبلغ متوسط نصيب الفرد في الشمال من الإنفاق الصحي السنوي ٤٥٤ دولاراً في حين لايتجاوز نصيب الفرد في الجنوب أحد عشر دولارا فقط , أي بنسبة ١: ٤١ لصالح الفرد في الشمال ،

أما متوسط نصيب الفرد في الشمال من الإنفاق على التعليم فهو ٤٩٠ دولاراً للفرد في حين أنه في الجنوب ٢٨ دولاراً للفرد، أي بنسبة ١ : ١٨ لصالح الشمال . وتبلغ نسبة المتعلمين في الشمال ٩٩% في حين أنها في الجنوب ٦٠% . كما يوجد في الشمال طبيب واحد لكل ٣٨٠ نسمة في

المتوسط أما في الجنوب فهناك طبيب لكل ٢١٤٠ نسمة من السكان . أما عمر الفرد في الشمال فإنه يبلغ في المتوسط ٧٣عاما ، ويبلغ هذا المتوسط في الجنوب ٥٩ عاما , أي أن الفرد في الشمال يتوقع أن يعيش في الحياة أربع عشرة سنة أكثر من الفرد في الجنوب . من ناحية أخرى فإنه في الوقت الذي يحصل فيه ٩٧% من سكان الشمال على ماء نقي صالح للشرب فإن ٥٠%. من إجمالي سكان الجنوب ، أي ألفي مليون نسمة , يظلون إلى الآن محرومين من نعمة الحصول على ماء صالح للشرب (٣٩) . لذلك وأمام ضخامةهذه المأساة فقد قررت الأمم المتحدة تخصيص عقدالثمانينات كعقد ((الماء الصالح للشرب)) ، وذلك كمحاولة أخيرة لتحقيق هدف تم العمل من أجله منذ عام ١٩٦٠. ويتلخص في مجرد توفيرماء صالح للشرب لجميع سكان الأرض بحلول عام ١٩٩٠ , بيد أن الاستثمارات الراهنة لن تسمح بتحقيق هذا الهدف وسيظل نصف سكان الجنوب إما من دون ماء نقي واما أن يستمروا في شرب مياه ملوثة . ونتيجة التلوث الشديد للمياه في بعض مناطق دول الجنوب فإن خمسة وعشرين مليون طفل من أطفال الجنوب يموتون سنويا من الأمراض المائية . كما تتسبب المياه الملوثة في إصابة ٧٥٠ مليون شخص من سكان أفريقيا واسيا بالامراض الوبائية كما يصاب ٣٠٠ مليون آخرين بمرض البلهارسيا، وخمسون مليوناً بالعمى النهري في حين أن هناك ٨٠٠ مليون نسمة مهددين بمرض الملاريا(٤٠) . إن جميع هذه الأمراض المائية والمرتبطة بالحالة الصحية المتدهورة في الجنوب , والتي تعطل إنتاجه الفرد فيه , قد تم القضاء عليها بنجاح في الشمال ، بل إنها أصبحت غيرمعروفة ومنسية تماما من ذاكرة الشمال . بيد أن القضاء التام أوحتى الاحتواء الجزئي لهذه الأمراض هو فوق القدرات والإمكانات الحالية والتقنية الراهنة لدول الجنوب التي تتطلع منذ أمد بعيد إلى جهد دولي مخلص يساعدها على القضاء على هذه الأمراض وتجاوز الأوضاع المعيشية البائسة السائدة في الجنوب عموما . لكن بالرغم من هذه المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية الكلية والتي تظهر عمق الفجوة المطلقة والنسبية بين الشمال والجنوب ، وتدلل عل صعوبة الأوضاع المعيشية اليومية لسكان الجنوب ، بالرغم من ذلك فإن هناك حقيقتين إضافيتين لابد من ذكرها . الحقيقية الأولى هي أن معاناة أشد الدول فقرا في الجنوب تزداد وضوحاً عند مقارنتها بالمستويين الاجتماعي والاقتصادي لأغنى دول الشمال . فمثلا عند مقارنة الولايات المتحدة , أغنى دول الشمال , بدولة كدولة مالي والتي هي ربما أفقر دول الجنوب على الإطلاق يتضح أنه في الوقت الذي يبلغ فيه متوسط دخل الفرد السنوي في الولايات المتحدة ١٦١٨٥ دولاراً فإن متوسط دخل الفرد السنوي في مالي لايتجاوز ١٥٠ دولارا , أي أن متوسط دخل الفرد في أغنى دول الشمال يساوي ١٠٨ أضعاف متوسط دخل الفرد في أفقر دول الجنوب . إن هذا الفارق في الدخول بين أغنى دول الشمال وأفقر دول الجنوب

يتضمن أيضا فوارق يصعب للعقل تخيلها أو استيعابها في مستويات المعيشةالاجتماعية والاقتصادية بين هاتين الدولتين . وتكفي الإشارة إلى أنه في الوقت الذي تبلغ فيه نسبة المتعلمين في الولايات المتحدة ٩٥% . من إجمالي عدد السكان فإن نسبة الأمية تصل إلى ٩٥% من إجمالي عدد سكان مالي ، كما أنه في الوقت الذي يحصل فيه ١٠٠% . من سكان الولايات المتحدة على ماء نقي وصالح للشرب فإن ٩٠% . من سكان مالي لايتمتعون بمثل هذه النعمة في الحصول على ماء نقي . وفي حين يبلغ متوسط عمر الفرد في الولايات المتحدة ٧٥ سنة فإن متوسط عمر الفرد في مالي يبلغ ٤٠ سنة ، أي أن الفرد في الولايات المتحدة يعيش في المتوسط ٣٥ سنة أكثر من الفرد في مالي . وعليه فإن الفرد في الولايات المتحدة الذي يبلغ من العمر ٦٥ سنة لديه حظ أكبر في البقاء على قيد الحياة من حظ طفل عمره خمس سنوات في مالي . كذلك فان اجمالي الناتج القومي للولايات المتحدة يساوي ٣٠٠٠ ضعف اجمالي الناتج القومي لمالي ، وتنفق الولايات المتحدة ٣٤٠٠ ضعف ما تنفقه مالي سنويا على التعليم ، و ٧٠٠٠ ضعف ما تنفقه سنويا على الصحةالعامة(٤٢) . أما الحقيقة الثانية المتعلقة بالمؤشرات الاقتصادية والاجتماعية الكلية التي تظهر الفجوة بين الشمال والجنوب فهي أن هذه المؤشرات تخفي في ثناياها البعد الإنساني الحقيقي لهذه المعاناة الجماعية والتي لايمكن للارقام مهما كانت هائلة وواضحة أن تبرزها أو تعبر عنها أو تقدرها .

فالأزمة الحياتية والمعيشية في الجنوب , وخصوصا في أشد دول الجنوب فقرا هي ليست مجرد أرقام ضخمة ، تبدو من الوهلة الأولى كأرقام صماء فجة بل إن أزمةالمعاناة هي أزمة إنسان وطفل وامراة ، وأزمة عجوز واحد فشل في تحقيق غاياته الإنسانية ، وفشل في الحصول على لحظة

راحة وسعادة وهناء , وشلت قدراته لأنه قد حكم عليه سلفا بالجوع والمرض والجهل . ويكفي أن يدرك العالم أن هناك فردا واحدا ، وليس ٨٠٠ مليون نسمة , في هذا العالم يتمنى الموت لأنه غير قادر على الحياة ، ويكفي أن يدرك العالم أن هناك إنسانا واحدا ، وليس ٢٥٠ مليون نسمة ، يعيش في بيت من الصفيح والتنك غير مزود بالماء والكهرباء وفي ظل ظروف مناخية وبيئية قاهرة . ويكفي أن يدرك العالم أن هناك إنسانا واحدا ، وليس ٥٠٠ مليون نسمة , لا يجد عملا أو أنه غير قادر على العمل والإنتاج . كما يكفي أن يدرك العالم أن هناك طفلا واحدا , وليس ٣٠٠ مليون طفل ، محروم من التعليم , وحكم عليه بالبقاء في الجهل والأمية مدى الحياة . إن معاناة وبؤس هؤلاء لايمكن قياسهما بالأرقام والمؤشرات لأنهما بكل بساطة يجسدان الفرق بين الحياة والموت(٤٢) .

والسؤال الآن هو إلى متى سيقف العالم موقف اللامبالاة تجاه معاناة هؤلاء الذين يعيشون في حالة الموت البطيء , وفي حالة أمية مزمنة وفي حالة الضعف الجسدي الذي يحرمهم من الانتاج والعمل والعطاء . ويبدوأن العالم لم يجد حتى الآن أسلوبا حاسما وعمليا للتعامل مع أزمة البؤس الإنساني الجماعي ، بل إن الدراسات الأكاديمية الرصينة تتوقع استمرار معاناة هؤلاء , وتتوقع استمرار اتساع الفجوة القائمة بين عالم الأغنياء في الشمال وعالم البؤساء في الجنوب . إن هذه الدراسات تؤكد استحالة تجسيد هذه الفجوة واستحالة أن يلحق الجنوب اقتصاديا وحضاريا بالشمال . ويدلل موريس غورينيه على هذه الاستحالة بمعادلة حسابية بسيطة حيث يقول : ((لنفترض ان معدل دخل الفرد في الجنوب هو ٥٠٠ دولار وفي الشمال ٦٩٨٠ دولارا حسب أسعار ١١٧٧. فالهوة بين الشمال والجنوب هي , إذا , ٦٤٨٠ دولارا . لنفترض أن الجنوب سينمو وفق الوتيرة بالغة التفاؤل بنسبة ٧% في المتوسط ، أي إذا أخذنا بعين الاعتبار التكاثر السكاني البالغ ٢,٦% تكون السرعة الحقيقية للنمو ٤,٤% لكل نسمة . ولنفترض أن الشمال سيبطيء نموه إلى الرقم المتشائم البالغ ٣,٥% , أي إذا أخذنا بالاعتبار التكاثر السكاني , البالغ ٨% ، تكون السرعة الحقيقية للنمو ٤,٧% لكل نسمة . فسيبلغ دخل الجنوب خلال مائة سنة ٣٢٠٠٠ دولار لكل نسمة في حين سيبلغ دخل الشمال ١١١٦٨٠ دولارا لكل نسمة . فتكون الهوة بالتالي قد اتسعت خلال مائة سنة بالرغم من فرضيات النمو الخيالية لصالح الجنوب ، بل إن هذه الهوة تكون قد ارتفعت من ٦٤١٠ دولارا في الوقت الراهن إلى ٧٩٦١٠ دولارا بعد مائة سنة من الآن . إن هذه المعادلة الحسابية النظرية تؤكد حقيقة اساسية هي : أن لحاق الجنوب بالشمال هو عمليا مستحيل ، ويجب بالتالي أن نختط طريقا نحو عالم مختلف (٤٣) . إن تضييق الفجوة بين الشمال والجنوب هو بلا شك صعب وربما يكون مستحيلا إذا استمر العالم على ما هو عليه من اللامبالاة ، واذا استمر النظام الاقتصادي الدولي الراهن من دون تغييرات جوهرية في بنيته ومؤسساته . إن استمرار هذا النظام من دون تعديلات يعني .ان مستقبل الجنوب لن يكون صعباً ، بل يكون ميؤوساً منه أيضا ، ولن يتحقق سلام دائم على الأرض , وسيظل ضمير المجتمع الدولي قلقا ومعذبا . لذلك وربما انطلاقا من هذا الإحساس بخطورة الفجوة بين الشمال والجنوب برزت الدعوة لعقد حوار الشمال والجنوب للنظر في الأسباب الحقيقية لهذه الفجوة واستطلاع إن كان بالإمكان إقامة نظام اقتصادي عالمي جديد يكون أكثر انصافا وعدلا , وأكثر استجابة لمطالب واحتياجات التنمية في الجنوب.

خاتمة:

على الرغم من الافتراض البديهي بان نظاما دولي معاصراً يجب ان يحتوي على جميع القوى الدولية والعلاقات بين وحداته بشكل متساوي ولايمكن الا ان يبقى نظاما على درجة عالية من التعقيد وكما هو حاليا , بالنظر لضخامه ونوع الحيز الذي يحدد اطاره واحتكار القوى والسلطة الدوليه من قبل الدول الاغنى في الشمال , وهكذا فان مثل هذا النظام يتسم بالانغلاق الذي بدورة يؤدي الى عدم تجانس في الحركة الدولية الواحدة .

لقد جرت العلاقات الدولية (السلمية والصراعية) بين دول الشمال (الغني) ودول الجنوب (الفقير) وعلى مر العصور من نقاط معينة على سطح الحيز والتعلقات بموضوعات محدده الاستيلاء على الارض , السيطرة على طرق المواصلات الاستحواذ على الموارد, البحث عن المال , لكن جرت هذه التعاملات في اطار المنافسة الدائمة بين دول الشمال من اجل القوة والغنى والسيطرة والهيمنة في عالم مجزأ , وبدت كانها تنطوي على امكانات غير محدودة للتمدد والاتساع , ومع تطور وسائل الاتصالات تبلورت اليات جديدة للسيطرة ساعدت على ابراز التفوق لدول الشمال (الغني) وازدادت تعاسة دول الجنوب الفقير وازدادت التبعية الى دول الشمال (الغني) وازدادت عملية التهميش

للدول الفقيرة في دول الجنوب الفقير اصلاً ولانعتقد بان العالم المقبل سيبقي على هذا النوع من العلاقات الدولية غير العادلة وغير المنصفة , لان العالم في ظل هذه الاوضاع لم يصبح اكثر امنا وانما اصبح اكثر خطورة على الجميع وبدرجة مماثلة من التهديد للامن والسلام للوجود برمته.

الهوامش:

١) يعترض يوري بوبوف , أحد أبرز الخبراء السوفيت حول قضايا التنميةوالتخلف ، على استخدام مصطلح الشمال والجنوب بحجة أن الشمال الغني يجمع بلدانا ذات أنظمة اقتصادية واجتماعية متناقضة مما يعني إدراج الاتحاد السوفيتي السابق ضمن الشمال الغني . ويتضمن مثل هذا الادراج , كما يقول يوري بوبوف ((خلق انطباع كأن البلدان الاشتراكية المتطورة تتحمل المسؤولية التاريخية أيضا عن التخلف الاقتصادي للبلدان الفقيرة , وأنها تشترك أيضا في نهجها الإمبريالي . . ولكن ليست هناك أي وقائع لإثبات هذه المزاعم)) . راجع يوري بوبوف ، دراسات في الاقتصاد السياسي والإمبرياليةوالبلدان النامية ، دار التقدم , موسكو ١٩٨٤ , ص ١٦ _ ١٦ .

٢) Nigel Harris , the end of the 3rd world , new York ,1986,p,26- penguin books

٣)- موريس غوربيه , العالم الثالث ثلاثة أرباع العالم , المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت , ١٩٨٢.

٤)- جاك لوب , العالم الثالث وتحديات البقاء , سلسلة عالم المعرفة , رقم ١٠٤،الكويت , ١٩٨٦, ص ٧.

٥)- فرانسيس مورلابيه وجوزيف كولينزء صناعة الجوع ، سلسلة عالم المعرفة ،رقم ٦٤, الكويت ، ١٩٨٣, ص ٥.

٦)- جان سان جور، ضرورة التعاون بين الشمال والجنوب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٦، ص٢٧.

٧)- willy Brandt ,north – south ,mit press , Boston 1980 ,pp .26 - 30

٨)- جاك لوب ، العالم الثالث وتحديات البقاء ، ص ٨٣. كما يؤكد تقرير اللجنة الدولية للتنمية ((لقد بدأ المجتمع الدولي يواجه , منذ بداية عقد الثمانينات ،خطرا متزايدا لم يعهد في أي وقت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . ومن الواضح الآن أن الاقتصاد العالمي يعمل بشكل سيء , وأصبح يهدد المصالح الآنية والبعيدة لكافة الشعوب والدول في العالم)) . Willy Brandt, north – south, p.267.

٩)- تم اقتباس هذه الإحصائيات والأرقام الواردة في هذه الفقرة من عدة مصادر أهمها : the imf , world economic outlook 1985 . Washington d.c 1985, world bank world development report 1984 , oxford university press, London ,1984 Ruth leger sivard, world military and social expenditures,1986.

١٠)- جان سان جور، ضرورة التعاون بين الشمال والجنوب، مصدر سابق ذكره ، ص ١٠ .

١١)- أحمد ثابت , قياس معدلات المعانه الانسانية جريدة البيان (دبي . دولة الإمارات العربية المتحدة) ، ٤ أبريل ١٩٨٧ .

١٢)- ويضيف الدكتور عبد المنعم : ((إن حل هذه المشكلة المؤلمة لا يتطلب آكثرمن ١٢إلى ١٥ مليار دولار سنويا خلال عشر سنوات ، علما بأن هذا المبلغ لا يعادل سوى ٤% من مجموع النفقات السنوية الخاصة بالتسلح ، و٤% من مجموع النفقات التي تدفع في البلاد المتطورة لشراء المشروبات الروحية ، و٥٠% مما يدفع لشراء، المجوهرات ، و٥٠ مما يدفع لشراء التبغ والسجائر)) .الحوار بين الشمال والجنوب ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٨١، ص١٨ .

١٣)- جاك لوب ، العالم الثالث وتحديات البقاء، مصدر سابق ذكره ، ص ١٦٢.

١٤)- فرانسيس مورلابيه وجوزف كولينز، صناعة الجوع ، مصدر سابق ذكره، ص٥ .

١٥)- المصدر السابق ، ص١٨ .

١٦)- المصدر السابق ، ص١٧٥.

١٧)- كينا جينسكايا ، نمو السكان والمشكلة الغذائية في البلدان النامية ، دار التقدم ، موسكو، ١٩٨٣ ، ص٢٥ .

١٨)- join seager and ann. Olson, women in the world : an inter national atlas, touchston book , new York , 1986,p114.

١٩)- willy Brandt ,north – south ,p62.

٢٠)- يحيى الجمل ، الأنظمة السياسية المعاصرة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٦٩ .

٢١)- د. رياض عزيز هادي، المشكلات السياسية في العالم الثالث، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ط٢، ١٩٩٠، ص٩٦-٩٧.

٢٢)- يقول مايكل هارنجتون : ((إن الانقطاع المهم الذي حدث في تاريخ البشرية في أواخر القرن الثامن عشر, والذي يرجع أصله إلى تلك التحولات البنيوية المتواصلة التي اجتاحت أوروبا ، هو الذي يحدد طفل من يموت مباشرة عند الولادة في الوقت الراهن . كما أنه هو الذي يحدد من الذي يعمر أربعين عاما ، ومن الذي يعمر سبعين عاما . فالباحث في وضع العالم ينبغي أن يدرس التاريخ ليفهم لماذا يوجد في عالما المعاصر وفي وقتنا الراهن فقراء في الجنوب وأغنياء في الشمال)) . vast majority, Michael Harrington,the touchstone book,newyork,1977,p104.

٢٣)- colin leys , underdevelopment in Kenya ,university of California press , berkely , 1975 ,p 8.

٢٤)- Roger d. Hansen , 'north – south policy : what is the problem ',foreign affairs ,58 : 5 , summer 1980 ,pp.1104-1128.

٢٥)- ruth leger sivard world military and expenditures,1986,p.33.

٢٦)- Op. cit, p.33-35

٢٧)- جاك لوب , العالم الثالث وتحديات البقاء، مصدر سابق ذكره , ص ٢٢.

٢٨)- المصدر السابق , ٢٣.

٢٩)- philip verleger ,' world economy 91', south January , p.40.

٣٠)- Stephen D.KRASER ,Strutural conflict , university of California press , Berkeley , 1985, p4.

٣١)- . جاك لوب ، العالم الثالث وتحديات البقاء ، مصدر سابق ذكره، ص ٢٣٣.

٣٢)- د. اسماعيل صبري عبد الله، العرب بين التنمية القطرية والقومية، مجلة المستقل العربي، العدد ٣، ايلول، ١٩٧٨، ص٢٥.

٣٣)- جوزيف كاميللري , أزمة الحضارة، مصدر سابق ذكره ، ص ١٠١ .

٣٤)- Melvyn Westlake ,'debt : the bankers dig in south ', april 1987,p.19.

٣٥)- جان سان جور, ضرورة التعاون بين الشمال والجنوب، مصدر سابق ذكره،ص٧.

٣٦)- willy brandt ,north –south , p.162

٣٧)- يقول جوزيف كاميللري : ((إنه في كل سنتين أو ثلاث تنتج الاقتصاديات المتطورة ثروة إضافية تعادل او تفوق الثروة الإجمالية للاقتصاديات المتخلفة , وهذه الثروة الإضافية تدر منافعها على تلك الاقتصاديات التي تستهلك بالفعل اثنى عشر ضعف ما يستهلكه ثلثا العالم الآخران)) . أزمة الحضارة ،ص١٠٢.

٣٨)- موريس غورينيه , العالم الثالث ثلاثة أرباع العالم، مصدر سابق ذكره ، ص٥٠.

٣٩)- ruth leger sivard world military and expenditures,1986.

٤٠)- willy brandt ,north –south , p.82.

٤١)- ruth leger sivard world military and expenditures,1986.

٤٢) كينا جبنسكايا ، نموالسكان والمشكلة الغذائية في البلدان النامية، مصدر سابق ذكره ، ص ٢٤.

٤٣)- موريس غورينيه ، العالم الثالث ثلاثة أرباع العالم ، ص ١٤٨ .

The Historical effect of Conflict Between North and South (1945 – 1995)

Dr. Asra Shreef
History Dept. -Collage of Education for Women - Baghdad University

Abstract:

Although the reasonable presumption that the new international order should include all international powers and the relation among its units equally, this kind of systems represent high level of sophistication because of huge and type of the space which limit its frame and domination of powers and international authority represented by north states.

When the method and manners of communication were develop, the new machinery are crystallize in order to dominate on the potential of south states which regard poor states, this help arising a preponderance of north states and restriction the role of south states and unfair international relation led to disorder and anarchy in the world.